

سحابة صيف عن قليل تنقشع خالد بن محمد الأنصاري



تضرب العرب بهذا المثل على الأمور التي يرحي زوالها؛ أو لا تلبث قليلاً حتى تنقشع وتذهب لأواؤها؛ وكذلك هي (حرارة الصيف) ووجهه وسمومه؛ فلا تزال بنا هذه الأيام حتى يأذن الله تعالى بزوالها وانقشاعها فهي من سموم جهنم -أعاذنا الله منها- كما ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين نفَس في الشتاء ونَفَس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر من سموم جهنم، وأشد ما تجدون من البرد من زمهرير جهنم).

فحري بنا في هذه الأيام والتي يشتد فيها الهجير أن نتذكر «نار جهنم» وحرها - نعوذ بالله منها - وأن نجتنب الأسباب التي توقع وتهوي بنا في قعرها:

تَوَثَّرُ مِنَ الْهَجِيرِ وَتَتَّقِيهِ
فَهَلَّا مِنْ جَهَنَّمَ قَدْ فَرَزْنَا

ومن تلك الأسباب المؤدية للوقوع في نار جهنم والعياذ بالله:

أولاً: الكذب والفجور: فقد ثبت من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار).

الكذِبُ عَارٌ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أُصْدَقُهُ
وَالْحَقُّ مَا مَسَّهُ مِنْ بَاطِلٍ رَهَقًا

ثانياً: أكلُ السحت: لما ثبت من حديث أبي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كلُّ جسد نبت من سحت فالنار أولى به).

فَلَا تُقْرَبِ الْأُمْرَ الْحَرَامَ فَإِنَّهُ
خَلَاوُتُهُ تُفْنِي وَيَبْقَى فَرِيْرَهَا

ثالثاً: قتل النفس أو الانتحار: قال تعالى {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}. ولما ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً).

إِنَّ السَّقِيَّ الَّذِي فِي النَّارِ مَنَزِلُهُ
وَالْفَوْزُ فَوْزٌ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ

رابعاً: اقتطاع حق المسلم: لحديث أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرَم عليه الجنة وإن كان قضيباً من أراك).

وقد كان سلفنا الصالح رحمهم الله يحرصون على أنواع من العبادات في شدة الحر ومن ذلك:

أولاً: الصوم مع الاستطاعة: لما ثبت من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره في اليوم الحار الشديد الحر وإن الرجل ليضع يده على رأسه من شدة الحر؛ وما في القوم أحد صائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبدالله بن رواحة).

وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه يبكي عند موته ويقول: (إنما أبكي على ظمأ الهواجر، وقيام ليل الشتاء، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر).

ثانياً: الإبراد بالصلاة: لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم).

ثالثاً: سقيا الماء: لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أفضل الصدقة سقي الماء). قال الإمام ابن القيم الجوزية رحمه الله معلقاً على هذا الحديث في كتابه «الروح» (1/358): (أفضل الصدقة ما صادفت حاجة من المتصدق عليه وكانت دائمة ومستمرة؛ ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أفضل الصدقة سقي الماء» وهذا في موضع يقل فيه الماء ويكثر فيه العطش، وإلا فسقي الماء على الأنهار والقنى لا يكون أفضل من إطعام الطعام عند الحاجة).

وقد كان السلف الصالح رحمهم الله تعالى لا يتضررون من فصل الصيف ولهيب حرارته؛ بل يجعلون منه فرصة لتذكير النفس وإرغامها على الطاعة.

خالد بن محمد الأنصاري